

المقامة الصنعانية

هادي محمد جواد*

قال صاحبي حدثنا الورد أبو الزعفران قال: كنت في سفري الطويل* أميل بين ما كنت له أميل* رجلٌ لا بالقصير ولا بالطويل* لكنه سلس الحديث جميل* إذا حدثَ سَحَرَ^(١)* ولو استطال السمر* إلى شقوق السحر^(٢)* وكان له صحب قلَّ عديدهم^(٣)* وما نظر^(٤) فريدهم* يجيدون الصحبة* ويزيلون الكربة* بمَلَجِهِم والطربة^(٥)* وكان بينهم رهيف^(٦)* خفيف الظلُّ طريف* قال مرةً أسمعوا* وإذا سمعتم عوا^(٧)* ما تقولون بالشعر إذا انهمر* وبالكلام إذا انتشر؟* فأجبناه خير على خير* حتى لو كان السامع طيرا* فأنشد:

حبييتي أحلى الأسمي اسمها

حرفان منها تعني الحماية

وإن قلبت في حديث بعضها

كان هو العون من الرزية

فما اسمها تلك الحبيبة اعرفوا

ومَن هواها هزم الغواية

قال أبو الزعفران* وهو العارف بالزمان* قلت له أتعني امرأة حَصَان^(٨)* أم حالة من الحدثان؟^(٩)* فسكت ذلك الصاحب* ولم يجب إجابة مجاب* فقال غيري ما قال* ولم نصل لما عناه الزجال* في ما نحن في سجال* قال:

* كاتب من العراق .

تُمددُ الجبال كالساقينِ نهدان فوق صدرها بالعين
فإن مصصت حلمة تأوهت ومدت الناس بماء العين

فقال أريحي^(١٠) من الحضور* لسدّ القصور^(١١)* قاصداً بالضحك تحريك الحناجر* وتلين المعائر^(١٢)*
هي زوجتك* فإن لم تكن خليلتك* فهي خليلتك* فضحكنا ونحن نشير عليه بالإيضاح* علّ يجينا الاتضاح*
وقد هيمن على المقيّل* القال والقيّل* وصار الكلام بالزنبيل^(١٣)* وزاد بعضنا مضغ القات* فريما جاءه
بالقول البتات^(١٤)* فصار ما بيننا شتات الشتات* فقلت: صرنا بحاجة الكومبيوتر والشتات^(١٥)* واتفقنا أن
نعطيه ضمة قات* إذا حلّ لنا ما فات* فقال:

أما عرفتم حلوة المدائن في البلد الساكن أي الآمن
وأرضه جميعها جنائن صنعاء أحلى قرية...

ثم سكت وانتحى* وقال إذا عجزتم عليكم حلق اللحي* فأكملوا البيتين* وإلا فبيننا البين.

الهوامش:

- (١) سحر: أمتع.
- (٢) شقوق السحر: بداية انشقاق ما بعد الفجر من نور.
- (٣) عدد هم.
- (٤) نظر: من النظر الشبيه، أي ما له شبيه.
- (٥) المُلح: ما يستملح من حديث. الطربة: آلة يمنية لإصدار تقاسيم الموسيقى شبيهة بالعود.
- (٦) رهيف: اسم علم وهو أيضا حاد.
- (٧) عوا: فعل أمر من الوعي.
- (٨) المرأة الحصان هي المصونة المحصنة.
- (٩) الحدثان: أحداث الزمان.
- (١٠) أريحي: مَرِح.
- (١١) القصور: العجز عن الإجابة.
- (١٢) ما يتعثر به والمقصود الأحجية نفسها.
- (١٣) الزنبيل: وعاء يسفّ من خوص النخيل.
- (١٤) البات ومنها البتات: القاطع، وهو جواب الأحجية.
- (١٥) الشتات: محادثة عبر شبكة الانترنت.